محمد الفيتوري

شرق الشمس غرب القمر

حلمي التوني

دار الشروق



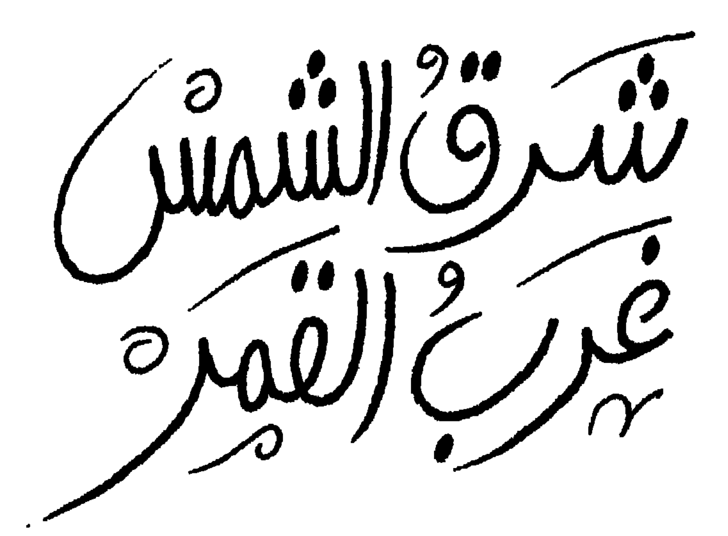
شرق الشمس
غرب القمر

الطبعة الأولى

١٩٩٢م - ١٤١٣هـ

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا: شروق - تلكس 93091 SHROK UN
بيروت: ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا: داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE

محمد الفيتوري



دار الشروق



الإهــداء

إلى تلك التي ما فتئت تغرورق عيناها
.. كلما أطللنا معا على الماضي ..

محمد الفيتوري

المغرب ـ الرباط
10 ـ 12 ـ 1986



إشـــــــــارات

إشـــارات . . !

1

في غبـار الحرب الكـونيـة (1939 ـ 1945) تـلاشـى وهـج كـل إيديولوجيات الطبقات العربية القديمة . وفي نكبة (1948) دقت نواقيس إفلاس النظم العـربية القائمة . وفي هزيمة (1967) تكـرس عجز الجيل العـربي الحاكم عـن قبول التحـدي وإمكانيـة المواجهة . وفي السبعينـات أمكن للخيـانة وحدها ، ولـروح الهزيمة أن تسود الساحـة ، وأن تشق لها طريقـا متعرجة عبر طـريق النضال المسدود . ومـع تتابُع حلقـات سلسلة النماذج أو المواقف المفـرغة تستفحـل ظواهـر عقمنا الفكـري والسياسي ، ويزداد الـواقع العـربي ضعفا وفسـاداً ، بانتظـار قدوم الثـورة الإجتماعية ، والشاعر العربي العظيم .

2

وأقول إنني لست ضد انتقال سـدّة الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ، ولكن مشاعري مع علي بن أبي طالب . ومسألة العقاب والثواب والجبر والإختيار ، والأقانيم الثلاثة والوحدانية تَعْنيني من وجهة نظر دينية ، ولكني أرفض ممارسة الطقوس والأشكال الكهنوتية إلى ' الحد الذي تنمسخ فيه معالم الوعي والإرادة في شخصانية الإنسان .

إن كل ما هو ضد الإنسان لا يمكن أن يكون من أو مع الله .

وأقول إن إسلام خلفاء وسلاطين بني عثمان وجميع قباب جوامعهم ورخام أضرحتهم لا يجعلني أغض الطرف لحظة واحدة عن الأسباب الحقيقية لظروف التخلف التاريخية التي لازال يعاني منها الإنسان العربي المعاصر ـ مسيحيا كان أم مسلماً ـ والتي تتغلغل بذورها المسمومة إلى تراب هذه المرحلة ، ولعل زيارة السادات للقدس المحتلة وانحناءه جَبِينِه أمام كبرياء الصهاينة الغاصبين ، لم تقلقني أو تفاجئني بقدر ما أقلقت وفاجأت الكثيرين ، باعتبار أن الزيارة والزائر مجرد حدث عارض في تاريخ النضال. وإن وجعي أكبر في رؤية العشرات من كتاب عصر عبد الناصر ومثقفيه وهم يوظفون أقلامهم وضمائرهم بنفس اليقين والعفوية في خدمة أهداف عصر السادات .

3

ليس هناك شعر حقيقي دون موقف اجتماعي ، إنها علاقة جدلية ذات مستويين أو وجهين يستحيل أن يكون أحدهما دون الآخر ، إن الشاعر أي شاعر هو ابن بيئته ومجتمعه الذي هو مزيج من التفاعلات السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية وإذا كان هنالك في تاريخ آداب الإنسانية كلها شعراء اتخذوا مواقف بالغة الفردية ، فلا شك أن مواقفهم تلك ، إنما هي حصيلة انطوائهم على أنفسهم ، أو انتمائهم الضيق للفئات ، أو القوى الاجتماعية التي ينتمون إليها . . . أو ربما خضوعهم لمغريات ومصالح أنانية انحرفت بهم عن أداء رسالة الشعر . . . وفي واقع الشعر العربي المعاصر والقديم تتعدد النماذج وتتنوع الشخصيات وكل إبداع يتوقف على طبيعة الشاعر ونوعية طموحاته . . . يتوقف على أصالة موقفه ، وصدق انتمائه الاجتماعي الإنساني .

أما أن الظروف الاجتماعية تخلق الحدث الشعري المتمثل في ولادة الشاعر وفي صيرورته الشعرية ، فذلك أمر كثير الحدوث ولكن الشيء الأقل حدوثاً هو أن يستطيع الشاعر تفجير الحدث الاجتماعي . . . بمعنى أن يكون أداة حقيقية وفعالة في إحداث التغيير . . إلا أن ذلك كله وقف على أصالة الشاعر ، أقصد عمق ارتباطه بالناس وقدرته الخارقة على أن يكون صوت مجتمعه ، أن يكون النبي والرسول . القابلة ، وحفار القبور ـ كما يقول جوركي ـ في وقت واحد .

4

ـ لقد اختلفت الآن أساليب اقترابي مـن العمل الشعري عما كانت عليه بدايـاتي ، كنت منـذ قرابـة 25 عامـاً ، أجد نفسي متفجـراً بمعانـاة طامحاً لتجسيدها بغَضِّ النظر عن الكيفية التي تنصب فيها تلك المعاناة .

كان همي آنذاك أن أتخلـص من هذا العذاب ، بعض الـذين عاصروني قالوا منتقـدين : « كان يكتب شعـراً تقريريا لا عـلاقة له بالشعـر العر بي المعاصر» . وكانوا يعنون مجموعاتي الإفريقية ، وأذكر أنني ضحكت بحزن في داخلي . ولم أكن أدافع عن نفسي ، حين قلـت أنني أحاول أن أطهر نفْسي مما ورثته من عذابي لأنني أريد أن أخلص إلى الواقع كإنسان في العصر .

ـ تلك كانـت ركيزتي فيما قبل ، أما اليوم فإنني أكتـب بعد أن أكون قد خططت وأعددت قائمة نفسية بما أر يد أن أقوله ، إنني أكتب شعري حين أريـد أن أكتب لا أخضـع لما يسمونـه بالإلهام الشعـري ، أن لدي رصيـداً موروثاً على مستوى ' الإيقاع والفكر يمكنني من قول ما أقوله للآخرين ولا تبقى ' أمامي إلا الكيفية التي بها سأقول ، أي أنني أضع فكرة البذرة بكل وعي (سـواء كانـت سياسية أو اجتماعيـة) ثم انتظر بعـض الوقـت حتى تزدهر فيَّ كما هي في باطن الأرض ، لتبدأ تتشقق في داخلي وتشقني في نفس الوقـت ، ثـم تبرز شيئـاً فشيئاً حتـى تأخـذ شكلها الخارجـي الذي سـوف تواجه بـه الآخرين . أقصد حتى ' تلبـس جسدها الإيقاعـي الذي يفرض

ذاته عليها ، فأنا لا أختار إيقاعاتي إنها تختارني هي :

- إنني أختار أفكاري ولكني لا أستطيع اختيار موسيقاي وأنغامي ، ولعلي الآن أشير إلى ' إحدى ' حقائقي الشعرية لهذا فقيمتى الشعرية لا تتحدد في ضوء ما وصلت إليه مرحلة ما من مراحلي الشعرية .

- إنني مجموع مراحل من المعاناة الإبداعية والتجارب الفنية ، تكتسب كل مرحلة قيمتها بأن تضعها ضمن شروطها الزمانية والمكانية .

5

أنا أحد شعراء هذه المرحلة وإذا كانت ثمة من مآخذ أو اتهامات أو حتى ' إدانات يمكن أن توجه إلى ' شعراء الجيل الذي أنا منه ، فالحق أنني أحد أولئك المدانين ، إنني إنسان يتحرك راضيا أو مكرهاً ، ضمن دوائر هذا الخراب الهائل الذي تعيشه أمتنا العربية ، كنت أتصور منذ أكثر من ربع قرن ، وكنا ما نزال حينذاك ، نحمل باقات الأحلام داخل أجفاننا ، كنت أتصور أن من سوف يعيش تلك الرحلة إلى ' مسافات بعيدة منها ، سوف يكون من حظه ، أن يرى ' وجهاً آخر مضيئاً ، من وجوه هذا العالم ، كنت أتصور أن وقتا سوف يجيء وسوف نكون نحن بعض بُنَاته ، ضمن من سوف ينعمون ببعض الإنتصارات والأيام الحلوة فيه ولكن

هانحن ذا ، حيث بدأنا وكأن لم نخط خطوة واحدة إلى ' الإمام . . . القيود في الأرجل والسلاسل في الشفاه . . . أقصد الحرية التي حلمنا بها ، (نحن الشعراء) لم تتجاوز طفولتها المضحكة .

محمد الفيتوري

ليس في الياسَمينـة
غير البُكَاء

للملائكةِ تتعانق خاشعةً في مراياي . .

ذائبةً في شموع التراتيل . .

مائدةٌ من بنفسج روحي

ولي أفق من طيور اللقاليق

ينصب أعراسه البربرية حولي

إذا دخل الليل في الليل . .

يلبسني في الدجى قمرا ميتا

ويغادرني غابة في نعاس الظهيرة

أعراسي الغابة الاستوائية . .

القمر الميت . .

الكائنات التي تتناسل أشباحها

تحت نافذتي . .

كلما اضطربتْ في الكهوف العميقة

أمواج منتصف الليل . . !

مونـولوج 2

ها قد أتى الوقت . .

يا موحش الذات في الذات . .

ها قد أتى الوقت . .

وحدك أنت ، وأشجارك البيض . .

مثل الشوارع موحشة وحدها . .

في شتاء المعاطف والقبعات

النبوات تصدأ في بقع الماء

والصور الجاهلية ، تنفخها الريح خلفك

والزمن الرثُّ منجذب بين قطبين

* * *

خذ باليقين . .

فإنك أنت الحجاب الذي حجب السر عنك

وتلك الشموسُ التي اشتعلتْ

في القباب الملونة

اشتعلتْ بكَ منك !

مونولوج 3

مِثْل أرملة العرس . .

أسدلتْ النحلةُ الذهبية أهدابها

وهوتْ مطراً ناعماً

في بكاء الغصون

* * *

ليس في الياسمينة غير البكاء

وفي بهو سيدة القلب نافورة

ومُغَنٍّ حزينْ

تُرى كيف تعبق زنبقتي

في بساتين هذا المساء الخريفي !

والكلمات التي ارْتبكتْ خشيَةَ الله

كيف تلامس قُربَانها ؟

كان عشقي مثلي يضم جناحيه إثر الزيارة

لم أكتمل في عبادتها . .

ولهذا تلاشيت دون القبولْ

* * *

ــ إنكسر . . فانكسرت . .

ــ احترق . . تحترق أو تضيء . .

جاءني الصوت . .

ــ يكتمل الطقس ، حين تصير المحبةُ لؤلؤةً

في فم النار

قلت : ــ وبرهان عشقي ؟

قال : ـ احتراقك

قلت : ـ وعشقي ؟

قال ، وألقى بدهشته فوق وجهي ؟

ـ احتراقك في الشيء . . أدنى من الشيء

والعشق أن لا تحولْ . .

مـونولـوج 4

نَهَرٌ فاغتسـل أيها المغتسِلْ

آيةُ العاشِق الفرد أَنْ يمتثلْ

ولقد يَصِلُ الماءَ أو لايصلْ

والمدى نجمةٌ في المدى ترتحلْ

فاسقهم منك في روحهم تشتعلْ

وامش تحت حوائطهم تكتملْ

الربـــاط 1985

بَعضُ المـوت مَجـد الأرض

عِنْدَ انطباق القوس تستبدل روما وجهها المخطوفَ
روما المُدُن الوحشيَّةُ الملساءُ
ذاتُ المقعد الرمليِّ
لا أَرْوَعَ من مِكنَّسيةٍ فِضِّـيَّةٍ
تنثر برقها على تداخلات الصيف والشتاء

* * *

ثَمَّـةَ بلياتشُو سجينٌ في الطباشير
ومقتولٌ يغطي رأسه الثلجي بالشمس . .
وفي التلة دُابٌّ الزمن القُطبِي
يستدفئ في معطفه المبتل
ما أقسى عيونَ الوطن المحتل
خَيْلٌ وصقور في الدهاليز
وأشباحُ طواحين على الأفق
هي الوحشةُ لا تدفئها الوحشةُ

من يمتد في صيرورة الآخر

ــ مات الملك السـادس

قالت شهقة الراهبة العذراء

ــ مات الملك السـادس

وانهارت على المذبــح

واحتجَّ الملوك الحائِطِئـُّونَ الذين انتظروا منذ سنين

شهروا أسيافهم فوق التوابيت . .

أضاءوا فلك التنبؤات . .

انهمرتْ أمطارهُم في طرقات المدن الرثّـة

قال الملكُ الأصفر :

ــ ها قد ذهب الحاملُ في الأرض صليب الذهب الأكبر

قال الملك الأســود :

ــ إكليل من الورد ، وقبض الريح

قال الملك الأزرق :

ــ بعضُ الموت ، مجْدُ الأرض

بعضُ المجد مـوتُ اللّه

قال الرجـل الأخـــرس :

ــ هذا الكرنفال البابويُّ الضخم ،

أوْلَى بملوكٍ في التصاوير ، وفي عصري

حيث الخاتم الأعظم في الإصبع ، والإصبعُ في الخاتم . .

أزهار بساتينى على أجســادهم

فوق الجياد السود

لا أجمل من أعناقهم فوق جياد العربات السود . .

واستلقى على ضحكته ، ثم أفاق الرجل الأخرس :

ــ مات الملك السادس

2

لازيتونة الرب ، ولا نرجسة الشيطان

هذا هو أنت !

انعكس الطائر والثعبان في روحك . .

هذا هو أنت !

رومــا 1980

حَــريق في ردَاءِ الأمِيرة

إلى اليَاس أبو شبكة

يوم أعلنتُ آية عشقـي . .

أسميتُ في نجمة في المجرَّات زاويتي . . .

وانكسرتُ عليكْ

كما ا نكسرتْ زرقةُ البحر فوق جناح النهار

كما انفرطتْ فِضَّةُ الشمس في هضبات المدار

ولما تباركتُ في زينتي ذات يوم

تلاشيتُ في حجبي . .

وانتهيتُ إليـك

ومن أنا في العاشقين

إذا لم تكن أنت عشقي !

ومن أنا في الشعراء إذا لم تكن أنت شعري

* * *

يوم أعلنــت عشقــي

كانت عروش المماليك

منسوجةً في حرير الهوادج

والأُمراء السلاجيقُ

يفترشون ظهور الجياد

وآلهةُ الحرب تلبس أزياءها القانياتِ

وكانت تُحلِّق في مدن الشرق

أشباح ماضٍ عتيقُ

والأميرة بيروت تدخل مرآتها في رداء من البرق

كانت لبيروت حينئذ هالة امرأة

غسلت جسمها في حريق

وسألتك :

كيف ا ستراح الذي غاص في مقعد الرمل

والرمل يغزو تضاريس هذا المساء العميق

وسألتك :

كيف تسلَّقَتْ القدمُ الحجريَّة سقف السماء

وفي الأرض يقتتل المؤمنون على الله !

واللَّـهُ كيف تحجَّـرَ أقنعَةً في صخور المضيق !

وسألتك ثانية

ثم مـاذا؟

وبرقوقُ[1] غادر منفاه تحت ستار الـظهيرة .

والخاصكيَّـة[2] تنفخ أبواقها الذهبية

والقصر يبرق في أصبحِ القهرمانة

والسُّـدَّةُ الملكية محروسة بالحريم

وجلجلة أمطرت وطنا كان في مقلتيك

هو الشِّعْر . . يخلد فيك وتخلد فيه

ويخلد لبنان ، منسكبا في غيومك

أنت الذي حملت راحتاه الاناء المقدس

---

(1) برقوق مؤسس دولة المماليك الشراكسة . أعلن نفسه سلطانا سنة 1983 وتوفي سنة 1398 .

(2) الخاصكية فرقة مملوكية .

والنارُ في شفتيــه . . .

وباكـورةُ المهـرجـان . .

* * *

منسكباً مثلُ زيتونة نذرت نفســها للالـهْ

ثم في ذات يوم ، كثيرِ التجاعيد

مالــت على جذعهـا . .

واستقـرتْ على الجـذع

ثم ا ستحالت هـي الجــذع

ثم استحالتْ نــواه . .

* * *

وأذكـر أنك أرخـت :

لو أن تلك الصـقور المدلاة

عبر ثقوب المداخـلْ

لم تَـكُ عالقـةً هكـذا في ثقوب المداخلْ !

لو أن رهط الملائكة المنشدين

على خشبات الصنوبـرْ

لم تتجاوز حدود اليقين على خشبات الصنوبـرْ !

* * *

لو أن هذا الرداء الرسولي

لم يتحدر قليـلا

على الكتفين الرسوليتين

ولو أن بيروت لم تَسْقِ عشاقها من دم مرتين !

* * *

وأَرَّخْتَ يا سيدى

حين تنفتق البــذرة

الأرض تعـرفُ أبناءها

كلما ارتجفـوا راجعين

ولقد يستطيل عليها الغـزاة

ولكنها تَتَقَـيَّؤهُـمْ بعد حيـن !

* * *

عُـدْ إليها يعُـدْ وطــنٌ في غنائـك

أنت الذي قلـت ، ساعة قلـت : الرحيــل

إننــي ذاهب ، غير أنى أقول لكـم

بعض هذا الحضور غياب

وبعض الغيـاب حضور طويل !

* * *

وأقـول لكم

ــ وأنا محض روح تبوحْ ـ

لطف الله بالناس

أن الخطايا ـ وإن أنتنت ـ لا تفوحْ

وأقــول لكـم :

ــ نسيت هذه الأرض ، وقع محاريثكـــم

أيها الزارعـــون

فاستردوا محاريثكـــم

تستردوا القضيــة

واذكروا أنكم عرب العصر ، لا عرب الجاهليـة

بيروت خريف 1982

زيَارة صَــاحِب البرَق

هذه العتبات التي ارتطمتْ شمسُها

في صــخور المدارات

كان اسمُها عتباتِ أبي . .

كان قوســـا ، تحــوّل نارا وزيتــونة

وتعــالوا إذن وانظروا كيــف ترتطم الموجــة . .

انكســـرتْ آيــة الله في نجمــة الطفل

وانكســـرتْ نجمــة الطفــل في آية الله

نجمتـــه لعبـــة الطفــل

لعبتـــه نجمــة الله

كان نيــازك وحشيةً تتحدَّى الســماء

وكان طقوســا شتـــائيـــة

لا تبـــوح بســـر النحـــول

وأزمنـــةً رثة تترامــى وهنا وهنالك

فهي بلادي ، وليستْ بلادي

كان بـدءَ رحيــل الغيــــوم

وفيْض حـريق الهمــوم

وكما لم يشـأ . . عاد متشحا في الرياح القديمة

من وطـن فـي النجــوم

إلى وطـــن في النجــوم

* * *

هــذه العتبـات رفوفٌ مقدســــة

تتداخل في يقظتي

وعرائس من حجر أحمـر

وأباريق مصبوغــة

عتبات أبي . . وأنا عابـر ذات يـوم هنـا

أنا هذا الذي يتغشَّاه طوفانـه الآن

فوق سطوح الرخـام الملـون

تلمسنـي فأصير هــواء

وتبصرنـي فأغيــب

وتُثْلج في شفتيَّ عصور التلكؤ

ثمـة سفـن مداريـة من تلكـؤ ذاتـي

في قنوات الرجـال البنفـسجِ

تعرج في الشمس آونـة

أو تحلـق في المـوت آونـــة

وكمثـل الشروخ العميقة في كبرياء المدينة

تمخـر سفنى في كبرياء الرجـــال البنفســج

مثقلة بالمجــاذيــف

سفني تمخـــر في المـــدن . . الأرض

عبر صفوف الرجـال المدانين في مجْـدَ أيامـهم

تتقاطـع فيهم ولا تنتهـي

حيث ينهمك الشفقيون في رقصـة السـمك الذهبي

المعلق في سـلة السرطان

عتبـــات أبـي . . وأنـــا

سفن حَاصَرَتْهـا جيوش الظلال

التي احتشدت في زوايـا المكـان

* * *

وتعــالـوا إذن وانظــروا . .

لاتجيئــوا كأفراس بحر الشمــال على شَـفَقٍ غائــم

لاتجيئـــوا مع الملك الخـــــوف

واختبئـــــوا في كـوابيسـكــم

إنكـــم تسـكنون كوابيـسـكـــم

والذي تحلمـون به يتجســد فيكـم

وأنتم تدقــون أجراسـكـم . .

وتميلون صوب انحـــدار الزمـان

بعضـكـم قدر يسبق الليـــــل

أو يسبق الضـــوء حيث مشـى

وتعالوا إذن وانظـــــروا

* * *

لاتجيئوا مـع القمـر المتأرجـح

يغتالكــــم في مقاعدكـــم . .

ثم يـزلق فـوق بنفسجة اللون في العتمـة

القمـــر المتأرجـح يرصف أشجاره الطحلبيـة

حول عيون العصافيـر

كي لا ترى كيف تولد معجزة الكـون

* * *

من يقطف الورقـــات التي يبسـت عن هياكلهـا !

* * *

حينما اخترتُ ناقوسي

اخترتُ صوتي من صـــدفِ البحـــر

* * *

من يحجب القمـر المتأرجـــح

أيتها الشهـوات التي انكفأتْ

فوق أجساد أمواتها

شبقا عاقرا

إنني أمةٌ حَصَدَتْ مَوتَها

وسأنبت كالطلح فوق حَنُوطِ دمى

وتعالوا إذن وانظروا

* * *

إنها عتبات أبي

وأنا صاحب البرق ـ منكسرا فوقها ـ

انظروا كيف أحرق أجنحتي وجهها

المستحمُّ بنور العذابات

حتى انكسرتُ ركوعاً على ركبتيَّ

وأسلمتُ في فرح عنقي

وتحجَّرْتُ مثل إلةٍ تحجر في حلمي

وأنا صاحب البرق !!

زليتن 1985



حِـوَاريّـة للفِرْعَـون وَأورشليم

كيف داهـم عينيك ، سيفُ الشتاء المرصـع . .

ثم تكسَّرَ فوق المدينـة مشتعـلاً

نصلـه نجمـة في التراب

وقبضته وردٌة بين عينيك

كيف تَعَانَقْتُمَـا أبداً . .

قمرُ الموت والافقُ المتصـدِّعُ بالمجـد والكبرياء ؟

* * *

ــ رداء العـذاب الجديد ، رداء العـذاب القديـم

يجيئون خضـر الجـوانح ، خلف مناقيرهـم

ويعـودون خضـر الجوانح خلـف مناقيرهـم

عابريـن . . ولم يعبـروا . .

والرمـالُ العشـوقُ تسـيل حنينا إلى سـاحـل البحـر

* * *

ـ كل مُغَنٍّ مـع الفجـر ينحـت تمثاله خلف سور السمـاء

والفُجَاءاتُ تستبقُ الحلـــم

ـ من ذا الذي يطـرق الآن بـاب السـكوت عليك

وأنـت الذي لوَّحَتْهُ المسـافات

باب السـكـوت عليـك !

ـ أعصفي خارجا كيف شئــت . .

غـداً تشـرب الأرض طوفانـها

والضحيةُ تدفـــن قاتلهـــا

إنهـم يفقأون عيـــون النبيين

عبر شـوارع أم المدائـن مصـر

اغتسـلتُ بكل مياه البحـــار

من الإثــم ، لم أغتســل

أو تغســلني النار ؟؟

من صلبـــوا الله في القــــدس

عادوا إلى صلبه اليوم في سـاحة الأزهر الفاطمـي

حصـادٌ طويلٌ من الثمـر المر يا أورشليــم

وتمشين مختالةَ الخطو فـوق التراب المقـدس

والخائـن العربي يُخَبِّئُ رعشتـه في ثيـابـك

* * *

يوم شهــدتُ الفجيعــةَ ، عانقـتُ صـمتي

ثم شـهدتك حاملةً كأسـك الذهبيــة

مملوءة من دمـــى

فتشهَّيْتُ أُغْنِيَـة قبــل مـوتي

يـا أورشـليــــم

وها أنــت ذا تضعين الـزهـور على رأس فرعــون

كـم زهــرة ســوف تصفَرُّ مــن بعــد

كم شمعة سـوف تغرق في الحــزن

يا أورشليــــم

وكـم مــرة تطلع الشمــــس

ناسيـــة . . ربمـــا

فالتماثيل ميتة ، والتوابيــت فاقدةُ الذاكـــرة

والخيانـةُ فـرعــونٌ . . لا شـعبي المتحــدِّي هنــاك

ولا ذلك البطلُ المتـدثر بالصمــــت

في ظلمــة القاهـرة ! !

بيروت 1980



تنـويعَـــات في التبــغ والبرتقـــال

تقطفين السكــون ، وتحتجبين . .

أُمــرِّغُ عينــيَّ فيــك

تفــرِّين عصفــورة من دمــي

لي ســؤالُ المحبين ، تحـت سماء التمزق وحـدي

ولأنـك أنــت فلسطيــن

يا امـرأة مثل موج الظهيرة

في كبريـاء الظهيرة

سبَّحْــتُ باسمــك

يا امرأةً تلد الأمهــات

وتولد في الأمهــات

ويسقــط في عشقــها الشهــداء

وتطلــع في شجَــنِ الشهـــداء

وتركـض في طرقــات المدائــن

طفــلا . . وسنبلــةً

وصباحــاً يسيِّجُهُ المــاء

سبَّحْــتُ باسمــــك

«ويحكون أنه قد جاء في كتاب الجنوب المقدس . . وجاء في تجاعيد قهره القديـم . . أن شتلة التبـغ كانت عـاملة مـن الجنوب في السـابعة عشرة ، تدعى وردة بطرس إبراهيم ، خضبها عناد الفقر بدم الشهادة

تحت أحذية عسـكر السلطان في بلدة تدعى الغازية . . في وقت كانت فلسطين ــ تتلوى تحت الجـرح ــ داخلة في ابتداء النزيـف . عنيـت عام 1947 . وجـاء أن شتلـة التبـغ مالـت بـاتجاه فلسطين . وهكـذا سقـط حسـن الحايك ، وفاطمة الخواجة ، بين تلاوين جـوع الجنوب . .

لكن حسـن العطار ، الذى سقـط قتيـلا بدوره أمام معمـل غندور في الشيـاح ، كان أيضـا شتلة تبـغ ، يبسـت في عشق فلسطيـن (*)» .

* القصيدة مهداة إلى كاتياسرور .

ويحكون عـن فرح في قرارة عينيك . .

في رجفـة الشفتين ، المبللتين

برائحة التبغ والبرتقال

مقدَّسَـــةٌ أنـت

يصلبك الصالبـون هنـــاك

وتمشين أبهى من الحــلم

في شـجر التبغ والبرتقـــال

انهضي من رفاتـك عـذراء

تلـوى ضفيرتها الريـــح

يا وردة المستحيل الجنـوبي

لاشيء عبر المـدى . . لا صـدى

شتلة التبـغ ، ما فتئـت في الجنـوب

معانقـة جرحـهـا

والرصاصة مُرْتَـدَّةٌ عـن جبينـك يا يوسف

انهض ــ لقـد عبقـت ثورة الشهـداء

ويا فاطمـــة

إنها الذروة القاتمــة

يا عروس انهضـــي

إن أقنعةً تتســاقط في العتمــة الآن

أقنعةٌ تتســاقط في العتمة الآن !

* * *

هولاكــو يسبي فقــراء البصـــرة

يُشْعِلُ في سعف النخل النيران

والبصرة تنشر في القلب فجائعها

وتكدس خلف مآقيها الأحـــزان

* * *

البصــرة في كل مكـــان

البصــرة في كل مكـــان

الكـل غـريق في دمهـا

لا أحـد بريء من دمهـا

* * *

جِبْـرٌ يهـرق

وفـــم يغلـــق

ورؤوس فـي الغابـة تحـرق

* * *

سبحـت باسمـك ، لابسـةً تـاج عصــرك

تعبــر فيـك الفصــول

ويخفـت في شفتيك أنينُ المسـاكين

والموت مرتجفـاً يتلقـاك

عريـان في النهـر . .

أو ضـائعـا في ضباب المدينـة

مرتجفـاً يتلقـاك . .

منحنيـا . . غاسلا راحـة الله

فـي صبـح وجهــك

أنـت التي تقف الآن ، مكتظةً بالولادة

يغسـلها الشـوق والـدم

سبحـت باسمــك

سبحـت باسمــك

سبحـت باسمــك

بيروت 1980



القيَــامــة

لِتُعانِقْ نُبوءَتَها هذه الرُّوحُ . .

وَلْتنتصِبْ أفقاً مشمساً ، خيمةُ الطيِّبِ والخبز . .

وَلْتستحِلْ فوهاتُ البنادق

في كف حاملها ، نهرا أبيضا

يتدفق عبر الحقول

وليظل اكتمالُكَ فوق مدار الفصول

أيُّها البشريُّ ، الآله ، الرسول

القرابين ، والشوق منَّا

ومنكِ الرضى والبِشاره

صحراءٌ نحاسية ، نحن لولاك . .

أزمنةٌ من حجاره

— 1 —

من جحيم الطقوس ، ومن خزف الكلمات

ومن دوران الفصول

سـقوف معابدنـــا

وطعـــام موائدنـــا

أبداً ننحـني ضـــارعين ، عـــلى بقـــع الـدم . .

تمتـد فـوق ســـواعدنا

وحريـــر وسائدنـــا

تتداخـل فينـا الهزائـــم ، هاربةً مـن عيـون

الذى سـوف يأتـــي

ونُغَطِّـــي الخطايا ، فتفضحها أعينُ الأمهـــات

— 2 —

مبـاركةٌ خطواتـك . .

يا مـن ستأتي على هذه الأرض ، مخترقا جبل السر

هالتك القدسية حـولك

مجد السـموات حولـــك

تأتـي كمـا جئـت من قبــل

تغســل عنـا الجريـمـة والعقــــم

هـا أنــت ذا تتلمَّسُ موتاك . .

تنفض أجســادهُم من تراب السنين

تُبَاركُ أيامهم . . تستدير مهيب الكآبـة . .

قلبــك لاينبــت الحقــد

مجــدك لايـرثُ المـوت

وجهــك لايلبسُ الكبريــاء

ـ 3 ـ

يسـألونـك . . ؟

ـ كلُّ مياه المحيطـات . . كل السـحاب

الذي يعبر الأفـق ، منحدرا

في مـدى الأفـق

كـل خوابـي العصـور العتيقـة . .

لاتطفـئ العطش المتجسـد في القلـب . .

. . تطفـئة دمعـة ، تتألـق عـارية الطهـر . .

في ردهـة الحـب

ـ 4 ـ

ـ لن تجـدوني . .

كما تجـدون أسـاطير من مثّلوُنِي

نقوشـاً على حجـر

أو تصـاويَر مبهمةً في كتـاب قديـمْ

أنا في الكائنـات ، وفيكـم أُقيمْ . .

ـ 5 ـ

ـ يسـألونك . . ؟

ـ كانـت سياط الخيـانة ، تجلد أرواحهم . .

وتحاصرهم

كنت أرحـــم آلامهم ، وأنا مُغْرِقٌ في سـكونى

ولهذا غفرت خطيئتهم

ورثيتُ لمـن قتلوني !

ـ 6 ـ

ـ يسـألونك . . ؟

ـ هـذا اعترافك أنـت . .

الشهـــادة في فمـك الملكيِّ

وإذا نارك اشتعلتْ في يديَّ . .

فالذي اختارني ليس أنت . .

ولكنه « أنا » يقســو علي . . !

ـ 7 ـ

ــ فوجئتْ أورشــليـــم . .

طار طائرُها عالياً . . وتخطَّى النجـوم . .

وتِفاجأ ثانية

بالســقوط العظيم !

ـ 8 ـ

ــ يسألـونـك . . ؟

ــ مَنْ لَمْ يكُنْ خائني هـذه الليلة القمـرية

فليأتِني تاركاً قوســه ، وكنانتــه

وحســـامــه

ســـوف أبعثـــه سيــدا

أنا مجـد القيــامـــة !

— 9 —

أيها البشـر الآلهي

الذي قهر الحقـد ، والموت ، والكـبرياء

ابتســم للذين انتهـوا فيـك

وابتــدأوا فيــك

قل كلمتــك . . كن رجاء لهم . .

وأجـب سائليـك . .

أنت يامـن وهبـت دمـك . .

خَمْرةً ، وخلاصـا لأرواحهم

وبكيت على قاتليـك ! !

باريس 1979

لا .. لَيــس لبْـــنَان

لا . . لا تقُلْ دخـلوا في الموتِ أو رحـلوا

هناك من أَمَرَ الأبطالَ فانتقلوا . .

هناك لبنانُ ، والأرضُ التي غضِبتْ

لوقع أقدام من خانوك ياجبلُ

هناك إرثك في الأرواح حيث سَرَتْ

أرواحُ من ملكوا الدنيا ومن شغلوا

هنالك القدسُ . . يا قدسَ النبوة ها

قد كان ما كان ، مما سطر الأزل

لكـن سكان برج الصخر تدرك أن البحر

آت . . وأن الموج متصل

سألت نفسي لما جئت مختلطا

أكاد أخلق في ذاتي وأرتجل

مَاضِيَّ مجد قديم النقش أحمله

على ذراعي ميتا ، حيث أرتحل

ودارتي قطعة من صخرة سقطت

من نجمةٍ لم تزل في الأفق تشتعل

وبي من الهم ، ما بالكون من عرب

ضاقت بهم صحراءُ التيهِ فاقتتلوا

تقاتل الجبلان : القهر والبشر السكون

بالقهر ، والدميتان : اليأس والأمل

أنا الشقي بهم . . لم يبق في دمهم

من عزة النفس إلا النفط والعلل

أنا الشقي بأحبابي ، وإن يبسوا

كمثل ما تيبس الأيامُ أو أفلوا

ففيم أزهو اغتراباً عنهم . . وأنا

كل الذين علوا في الأرض أو سفلوا

وفيم أستنهض الأموات معتذرا

مادام تاريخ أجدادي هو البطل

غفوتُ . . لم أغف : مثل النهر سابحة

أسماكه . . وهو في استغراقه ثمل

نأيتُ . . لم أنأ : كان الموت يلبسنى

حياً . . ويلصق في عمري وينفصل

بكيتُ . . لم أبك : مرَّتْ غيمةٌ فسقت

غصناً من الورد يدنو ثم لا يصل

رأيتُ لم أر شيئا : كان ثمة في الآفاق

بغضٌ لوجه البغض يقتتل

صرختُ والدم في راحات من شربوا

ولحم لبنان في أشداق من أكلوا

لمن إذن نصب الموتى سواعدهم

فوق الجحيم ، وشبوا فيه واكتهلوا

وفيم أطلق طفلٌ جسمه قمرا

من القذائف ، والتاريخ مُنْذهلُ

وغاصَ في وطن كالحلم تحرسه

عدالة الله فوق الأرض والمثل

لبنان . . لا ليس لبنان الذي صنعوا

بالأمس أو قسموه اليوم واحتفلوا

لا ليس لبنان عرش الطائفي إذا

استقوى . . وألعوبة الحُكَّامِ إن عدلوا

لا ليس لبنان تلك الملصقات على

الحيطان ، تنزو جراحات وتندمـل

وليس لبنان هذا الليل يغسـل عينيه

. . بذبح ضحاياه . . ويكتحل . .

لبنان رؤيا نبوات مقدسة

تظل في الكون مثل الكون يكتمل

فلتستبق وحدة الأديان خالقها

إلى الوجود . . وتحصد زرعها الرسل

باريس 1984



ذهـــــــول

وحده المحمول في أسوارك الكبرى . .

مخيفا مثل أسرارك ياراهبـة البسـتان

لم يسألك هذا الشبح الماضي . . إلى أين ؟

اليواقيت . . الأعاجيبُ ، وسحر البحر

رملٌ في اليواقيت . . ورملٌ في عيون البحر

لو أبصرَتْ الياقوتهُ الميتةُ ، حزن الضوء

في الوحل الذي يسطع في الضوء

ووجه العاشق المبحر في وحشتِهِ

والقلب مقتول الصبابات

وها نحن تهالكنا على حائطنا الثـالـث . .

والسابع . . والعـاشر

ها نحن ، ومازالت رؤوس المدن المقطوعة الخرساء

تساقط في جنازها الثالث ، والسـابع . .

والعـاشــر . . فينـــا

وكـأنـا مـــا بقينـــا

* * *

إنه منتصف الخط العمودي . .

انتصاف الزمن العاكس . .

ها قد سكنت سيدة الإيقاع في الإيقاع

والساعة في الساعة

والقوس يغيب الآن ، في نرجسة القلب

وصيف في رداء أبيض يسبح صوب النهر

يا صيف انفعالاتي . . امكثى

قلت : امكثى

مائدة الزهر المسائي استحالت جوقة

مغرقة في الصمت

والخالق يفنى راحلا في وجع المخلوق

والموت كما كنا اشتهيناه

يُغَنِّي أبدياً في حضور الموت !

بيروت خريف 1982



ذَاتَ مَسَـــاءٍ .. ذات صَبَــاح

وردةٌ . . طيفُ قِدِّيسَةٍ . .

سكبتْ رُوحَها في اتجاه السماء

وسحابُ إوزٍّ غريق على الأفق

يدفع أعناقه المتعبات

إلى نقطة في الدجى اللؤلؤي

وفي منحنى القوس بعضُ رسوم الشتاء

وآلهةٌ من غيوم تشكِّل أجسادها

صوراً مفزعات

وأوشحةً عنكبوتية النسج

يا رؤية الله في رؤيتي

ما الذي جعل البحر يطفئ قنديله فجأة

ويغادر نوبته ، شاخصاً في سقوف البكاء

— 2 —

لم تكُنْ غير قبضةِ رملٍ تسافر في البحر

كــان هــو البحــر

كان هــو النجمــة الأطلسية

والرمل ، والبحر

أغْرقَ في ذاته ، ذاته

وا نحنى داخلاً في زواياه

ذات مساء رأيناه

قال الذين رأوا شبحا في أزقة فاس العتيقة

منهمكاً في الغرابة :

كان كذئــب الجبال ، وحيدا . .

يصـــارع أفعــى علــى ظهـــره . . زاعقـــاً

ــ إنني حارسُ الغابة البشرية

والطير تأكل أرزاقها فوق مائدتي

ثم تفرخ فــيَّ ، وتأكلني . .

وأشاح ، كمن يتقيَّأُ فـوق عظام مدينته . .

ثــم أرغـــى وتـــاه

وأمطـــرت النـــار إثـــر خطـــاه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ 3 ـ

مِثلُ رأسٍ مجللة بالســواد

تطلُّ معذبةً من تقوب المناجم

مثل رسول يقوم من الموت في الكتــب الأزلية

أصفر . . أسود . . أزرق

عيناه شمسان زنجيتان

مثبتتان على لوحه الغيب

قال الذين رأوا لحمه يتناثر ذات صباح

على الشاطئ اللازوردي

كانتْ ألوفُ البنادق تبصق أحْشاءها فيه

وهو جميلٌ وقاتمْ

أميرٌ من البـرق ، والـرعـد قـادمْ

وحيـن تنـاوبه حـرس القبـــر ،

كان بوسـع الفضـــاء

يسيل غناء ويرقص

ثم يسيل غنــاء ويرقص
حتــى اختفــى ، صــاعــداً خلــف رقصتــه
في غنــاء الجمــاجم

ـ 4 ـ

حيث تزرع رأســك . .
لاينبغي لك أن تحصد الدهشـة
الرأس قمحة من يحطب الليــل
بعض الذين أحاطتك أشجــارهم
حطب الليل

* * *

كان الحضورُ الجميل احتمالا
وكان كمالُ الكمــال اختلالا

وجرَّدَني من سحابته ذات يـوم وقال :

احتـجـب

فالتواصـــل غير الوصـــول

والتماثــل بعض الـدنو الخجـول

الرباط 1985

ترَنميــَة للحُــبّ والأرض

صلِّ من أجلها . .

وارتبِكْ لحظة في تصاوير سقف المدينة

إنك في مجد معشـوقـةٍ هـي تحـت سماء الألوهيـة

السيف ، والرأس ، والمعمدان

وهي ختم خوابى الرحيـق

التي عُتِّقَتْ من قديم الزمان

وهي بدءُ اغتراب المشاعـل

والحالمين على الأرض . .

معشوقة سكنت في شرايينها شمس لبنـان

واختـال في روحـها عطـر لبنـان

* * *

صـل من أجلـها

صـل إن طيـور المدينة تنفر أقفاصـها

وحصـاد البيادر كان حصـاد العـذاب

واكسر الراحتين على نقطـة من دم

عِلقَتْ بالرداء المقدس

في خجل واضطراب

إنها الروح تسترجعِ الآن ميراثها

الآن تنهض مطعونة في مقاتلها

صور الكائنات البريئـة

والضـائعـون خـلال الضبـاب

يجيئون عبر جسـور الضباب

* * *

شـدمـا ذبلـت زهـرة العمـر

في حين لم يحصد الحاصـدون من الحرب

إلا الخـراب

عبثا سقطتْ من أصابعهم هـذه الأرض

مـذ أغلق الشعـب من دونهم بابه

سقطتْ مثل زيتونة من أصـابعهـم

هـذه الأرض

والنخـل ظل يُمَشِّطُ أغصانه تائهـا

والنسيم الحريريُّ يرشـق وردتـه

في بلاط السـكوت

والذبيحـة مشـدودةٌ فـي موائدهـم

دم تلك الذبيحـة كان يقاتلهـم وحـده

كـان جيشا يحاصـر جلاد بيروت

منتقمـا . . ويقرر أن لا يمـوت

* * *

صـل من أجـل لبنـان

من أجـل كفين مصـلوبتين على خشـب الأرز

شاهقتين بأعـلى الجبـال

صـل من أجـل عينين زنبقتين

تحـجَّـرتا . . وتحـجـر فوقهما كبريـاء الجمـال

صـل للحزن ، يضفر تاج البراءة

فـوق جبـاه المحبين

صـل للجـرح في وطـن الجـرح

يكبر يومـا فيومـا . .

ويسـطع مستصـرخا كل حين

بيروت 1984



أورَاق طـائِر الليْـــل

يكتب شيئا ، طـائر العاصفـة الشتـوي . .

في أوراق هـذا الليل . .

من توَّجَنِي يا ملك العتمـة

مملوكا على العتمـة

هل تبصـر هذا الأفق المشمس في عيني ؟؟

إني أتحدَّى عرشك المصبوغ بالمجد

ومن علَّقني ، في قفص الدمية

لا أملـك إلا خـوذة الريـش

ولا أحمـل إلا صـدف البحـر

ولا أمضغ إلا بعض ما أبقى الضحايا الخالدون

في فمـي . .

ومثلمـا أردتنـي . .

حلقـتُ في غير سمائـي

وتسـاقطتُ شهيد العصر

في غير ترابي ودمي !

— 2 —

من خبَّأ الرغبة في الشوق
أتدري ؟ أنت تدري
أن هذا الشوق مأساتي
انعكاساتُ مراياك على وجهي . .
قوسُ الشجر الغارق في الأصفر
لون العشب في العشب
التماثيلُ التي تعبق بالذكرى
ولا تملك إلا شهقة الذكرى
لماذا نملك الشيء قليلا
ثم لا نملك إلا جسد الشيء !!
وتدرى أنت أن الزمن الميت في الإنسان
إنسان يموت
زمن الدهشة ، والصحو الضبابيُّ يموت
زمن يسكت فينا

ثم نمتـد على الأرض

ويمتـد على الأرض السـكوت

ـ 3 ـ

مرَّغَتْ منقارها أنثى العصافير

على الحائط حزنا .

ثم قالت ، للذي استغرق

في صبوته الكبرى

إذا لم تعـد الآن

فلـن أغفـر للموت

ولن أغفر للحـب . .

ولن أغفر للغفران

واختالـت ، وقالـت :

ـ ليكـن

وليسـكرَ القاتـل بالمـوت

فإني بـك سـكرى

خمرتي حبـك لا الخمـر

وأزهـــار الأُلُوهُيةِ تنمـــو فـي بسـاتيـن خيــالي

فأنـا منـك

وهـذا الأُفُـقُ الرائـع

فيـــضٌ مـن جمـالي

— 4 —

الآن تبـدأ البـداية

الآن تنتهي النهـاية

مستلـب كأنمـا لـم تكـن النقطـة فـي النقطـةِ

في لؤلؤة العينين أنـت

مِن حيثما صفر البدايات

إلى صـفر النهايات

ذهـبت لم تذهــب

وَجئتَ لم تجـئ

بكيت مثلما ضحكـت

أضأت مثلمـا انطفأت

عشقـت بعـض الوقـت

كرهـت بعض الوقـت

— 5 —

تغتســل الثورة في الثورة حينـا

مثلمـا تغتســل الأنهار في حـدائق المطـر

تستيقـظ الخالـدة العــذراء

في ردائها الأحمـر

بيضــاء الجناحين

يعـانق الحيـاة صـوتها

ويشعــل الجبـال ، والبحــار ، والشجــر

سيدتــي

بقدر ما ركضت في شوارع القهر الرمادية

مجنونا أغني بـك . .

لايســمعني إلا المجانين

ولاتعـرفني إلا عيــون الشهــداء

بقـدر مـا أنـت

اجعلي مجـدك في أرضـي . .

اسـكني هياكل الطين

وأعشاب التوابيت

وأبواب بيوت الفقراء

1978



سُــورَة الفقــــــير

لك دمع العيون التي عانقتك بأحـداقها
في صباح العـذاب الجميل
يوم جئتَ من المستحيل
ناسجاً بيـديك حـريق الإرادة والمستحيـل
صـاعداً فضـة في الشـروق
سائلاً ذهبا في الأصيـل
غارسـاً بذرة الغـد ، في رحـم الأمـس
منصهرٍ الذات في الله . .
مقتلعاً مثـل عاصفـة أخريـات المسـوخ
المقيمة في الصـخر
يا وطني العـربي المُغَلَّفُ في كتب الرمل :
قلبـي أنا ليس قلبك هـذا العليـل

* * *

. . وَحلَّقْـتَ سهمـاً ودائـرةً :

ـ سوف ينبثق العصر من هذه المضبات

ويجرف دنيا توشحت القحط والقهر . .

لا أقرأ الغيب . .

لكنما أبصر الحلم عبر عيون بلادي . .

وإن أبطأت موجة الصيف . .

فالأرض مشمسة خلف تلك التلال

ولابد من زهر في الحقول البعيدة

لابد من قمر في الزمان البخيل

ومن لم يكن زهرا

أو يكن قمرا

فليقف جانبا

* * *

إن عدلا على هذه الأرض . .

ليس هو العدل . ما بقي السوط يستنطق الناس

فليركل الميتون مقابرهم . . ولتقم آيـة العدل
هم صوروا الله فـوق سقوف معابدهم ، كيفما حلموا
إنمـا الله في النـاس . .
لا مثلمـــا زعـم العـاكفـون علـى الرمـل

ـ 3 ـ

دائراً في الدجى ، لم يزل حلم ذاك الفقير
الذي أمسـك الشمس في راحتيه قديما
وأفلتها حجرا . .
دَائِرا . .

ـ 4 ـ

كان في العتمة المستريحة ، في سرر الكـون ،
ربٌّ عجوز ، يطير بزحافتين من الثلج
ثم توغل في التيه ، فابتلعته العصـور

وما فتئ الجنـد منذئذ

يَرْقُصُـونَ عـرايا الجسـوم على رقعـة الشطرنج . .

ـ 5 ـ

لماذا إذن ؟ وَلِمَنْ كل تلك الذبائح

سادرةً في مواسمها

ولماذا يجيء النبيون والشهداء ، كأن لم يجيئوا ؟

الزخارف تبنى البيوت ، وتسكن سكانها . .

والطقوس مقـدسة . .

لست أحسـد ميتا على أنه لابس كفنا من حـرير

ولكنني أسأل الميتين . .

ـ وماذا لو امتلك السيف والعرش

غير الذي امتلك السيف والعرش

ـــ 6 ـــ

قال لها ، وهو يحفـر شاهدهُ في قبور المدينة

ميلي هبوطـا إلى الهـاوية

واستخفِّي ، فيا طالما نسـج العنكبـوب

شباكـاً علـى حجـر الـزاويـة

ـــ 7 ـــ

يوم جئتَ تحسست الكائنـات جدائلها البيض . .

واغتسلت باليقين لأول مرة

وأطلت من الصحراء نجـوم ، لأول مـرة

طرابلس 1984

صَلَوات للوطَن

بعض ما سطر الدم المبذولُ

والجراحات والصـراع الطـويلُ

أنك الأفق ، حيثما اتسـع الأفـق . .

وأنـت الجبين والأكليـل

ويزول الذين تحجب ضـوء العصـر

خـوذاتهم . . ولسـت تـزول

ويخـون الذي يخـون . .

ويبقـى عاليـا وجهـك الجميـل الجليـل

ويغنيـك مـن يغني

ويجثو فـي زوايـاك مجـده والأفـول

أيها الكل . . والكمـال . .

ومجـد الله . .

والمعجـزات . . والمستـحيـل

أترى عاشقيـك

كيـف يذيب الوجـد أجسـادهـم

وكيف تحول

كيف يستيقظ الشهيد من الموت

كأن لم يمت . .

ويحيا القتيل

كيف تندى أرض . .

وَتَيْبَسُ أرض . .

ويضحِّي جيل . .

ويولد جيل . .

هو ذا أنت . .

لا الطبول التي أمتصتك دقاتها . .

ولا التطبيل

لا بخور المصفِّقين . .

ولا يأس المرابين فيك . .

والتدجيل

لا الصليبي قادما من جديد

فوق أسطوله . . ولا الأسطول

لا أغـاني المخنثين . .

ولا رؤيا يهوذا الأعمـى . .

ولا إزريــل [1]

هو ذا أنــت . . أنت

هذا الذي يجترح الصمـت

سيفـه المســلول

أنــت هـذا الذي يجــئ مــن الصحـــراء ضــوء

حين الظـلام البديـل

عربِّي

أكفانه فـوق كتفيه شهـود

على اليقين عـدول

داخـــلاً فـي عـلاقـة المـوت بالمـــوت

كمـــا تدخـــل الفصـــول الفصـــول

---

(1) اسرائيل ، وهي لهجة عربية قديمة

غاضباً تسـطـع الرؤى ملء عينيه

ففـي كـل نظـرة قنديــل

* * *

ويموج السـكون عصفا . .

ويســرى في عيـون « المـارينز »

حلـم ثقيـل

لـم يكـن غيـر ظلـه ، وهـو يرتجـل الأسـوار . .

يعوَجُّ عامـدا ويميل

ـ لـم أبطـأت ؟ قالـت الأرض . .

ـ فَجِّـرْ . . كُـنْ كمـا لـم تكـن . .

فأنت الرسول

* * *

وتهاوت دعـائم . .

كُـنَّ من منذ قليل . .

هُنَّ الوجـودُ البديل

يومـهـا ازدانـت الأميـرة بيـروت بصـمت

وانســاب دمـع نبيل

وتمنـى لبنـان ، لو لم يبـدد إرثه

الطائفيُّ والمخبول

فالنبي الشهيـد طفل جنوبي

بآلام شعبه مجبول

والنبي الشهيد أغفى . .

وفي كلتا يديه

القرآن والإنجيل

* * *

يـومهـا غطـت النعـوشُ سمـاواتِ أميركـا

وغـام فيهـا الذهـول

فالذي ضمت النعوشُ

هـو المحتل في كبريائه والعميل

* * *

يومها قال قائـل

يا فلسطين قتلنا . .

والصـامدون قليل

غيـر أن الأطفـــال تولـد فـي كـل صبـاح . .

وقهرنا مستحيل

دمشق 1983



بَيروت

. . ومتـى تحلـق شمسـك الخضـراء يابيروت ؟!
كأس الله ، هـل ستضـئ بين شفـاه مـن سكـروا
بكأس الله ثانيـة ؟
وأشـواق الذين تعانقوا في الحلـم ، عبر تماوج الألوان
يا بيروت . . في استشهادها . .
وحـريق بواباتها الكبرى
لئن صـار الهوى ذكرى
فيا لعذوبة الذكـرى !

* * *

ويرحل في سحاب النـار
عنقود من السنوات يرحـل في سحـاب النـار . .
كان الفجـر ، أصـفر بارد العينين والشفتين . .
كانـت شمس بيروت الحزينة ، نصـف مرآة محطمـة ،
تلوح على بقايا نصفها العـلوي

أشبـاح الفجيعـة . .

وهي تغرق في مقاعدها الوثيرة

والذين هنـاك يختبئون تحـت جلودهم

ويخبئون مرارة الضحكات

يقتسمون ارث المـوت

في زمـن الولادة والدمـار

* * *

أو كان محتـوما عـذابك !

أن تغـوص حجـارة الكبـريـت فـي عينيـك

هـاتين المظللتين بالفـرح العميق . .

وأن تلف جناحك الذهبي

عاصفة السـقوط والاحتضـار !

* * *

أو كُلُّ هذا السـاحـل الملحـي جرحـك ؟
كل هذا الحائط الدمـوي موتـك ؟
كُلُّ هـاتيـك الضحـايا السـاقطـات من الجحيـم . .
وأوجه القتلى المفرغة العيـون . .
وذكريـات الرعـب والدم والغبار !

مجهـولـون عنـد الحـاجـز

* أنا محمد بطرس العربي من لبنان
ـ حسـبك لا تزد حـرفا
* وأعمل بائعا لليانصيب ، أبيع أوراق الحظوظ .
لمن يشاء . وربما بعـت القليل ولم أجد إلا القليل .
ـ وأنت ؟
* نجـار قديم . كان لي بالأمس حانوت وضـاع
وقلـت يا صيدا الـوداع

هناك بيروت التي يحكون عنها . .

وانحدرتُ ميمما بيروت . .

لكن المدينة أوصدت أبوابها . .

بيروت قاسيةٌ على فقرائها . .

سأعود يا صيدا إليك . .

فقد تعبت من الصراع .

ــ وأنت ما اسمك ؟

* كنت أمتهن الحدادة . . ليس لي وطن

سوى لبنان .

وَاسمي منذ سمّاني أبي غسان . .

لم أك حاضرا إذ ذاك . .

ــ لا تقلق . . فلن تحتاج بعد اليوم .

لاسم أو هوية .

* هل تريد هويتي ؟

ــ لا فرق ياغسان . سوف تموت مجهول الهوية

القنـاص يعترف للفريسـة

عيني وَرَأْسُكَ والزناد

أنا الذي تتشكل الأعمـار بين يديـه . . تنقص أو تزاد . .

أنا الذي يحييك أو يفنيـك . .

مهمـا كـنت . . أو مـن أنـت ؟

لا أُغْنيَ بغير المـوت

أنـت فريستي

وأنا هو الـرخ المحـلق في سموات الرمـاد

بعثت من عصري لكي ألقاك

هذا أنت تقترب . .

اقترب . . طفلا . . عجـوزا . . كاهنـا . .

إني أريدك تحـت منظاري . .

ورأسـك وردة حمراء ، تدعـونى لأشهد عرسـها . .

يا جثة الحي الذي سيكون منذ الآن جثة ميـت قـد كان . .

لا لن تفلتي

وأنا بريء منك يا من لست أعرفه . .

فلا تحقد علي

وأنت ترقص في دمائك

لست إلا قاتلا متعاقدا بالأجر . .

اقتلُ ، وهو يدفع ، ثم أقتل . .

غاسلاً كفي منك . .

ومن دماء القادم المجهول بعدك . .

والذي سيجيء حيث يسود مجد الموت . . مجد البندقية .

إني مجرد آلة خرساء . .

أما القاتل الفعلي ، فهو وراء شرفته . .

يراقبني

ويضحك . .

ثم يومئ للضحية !

الكلمـات الأخـيرة

بيروت تشهـق بالقذائف والقنابل

بيروت تحـلم بالخـرائب والزلازل

فهنـاك مجـلود وجـلاد

ومقتـول وقـاتل

وبنـادق خانـت . .

وأخـرى عـن مواقعـها تقـاتل .

بيروت 1975

مَـن أحْـرَق قلبَ الفســتقة

ما اسمها ؟ تلك التي تـرسـم عينـاها

عـلى نهر السمـوات

وشـاحـا قـرمزيا

وطيورا ذاهـلات

وقناديل سجينة !

ما اسمها ؟ تلك التي تذبح في ساحتها . .

الأطفال والموتى . .

التي تختال في زينتها

وهي حزينة ؟

ما اسمها ؟ تلك المدينـة

قلـت : بيروت . . ومدريد . .

ومـاذ قلـت ؟

نيرودا الذي يزدهر اللحظة في ماء الينابيع . .

ولوركا . . لم يزل مغتربا في حـب غرناطة . .

يستلهمها الثورة والشعر . .

وتستغرقه النشوة

حتى الاشتعال ! .

آه . . يا غرناطة الأشواق

غرناطة أبراج الجبال

درج الشمس رمادي

ومصقول . .

وناء مايزال

غير أن الوتر المشدود في دائرة الكـون . .

وفي قلب المغني

ليس خيطا . . إنه قلـب المغني . .

ولأنَّ النـار في جبهته فهـو يغني

أبديًّا لك ياروح الجمـال

ولعيني مصطفى الكردي (١)

مغسـولا بنور الدم

---

(١) قتيل مجهـول في الحرب اللبنانية .

مجهولا من التاريخ . .

منسـيا . .

وملقىً في الـظــلال .

مصطفى الكردي . . لما مات

كانت مومياواتك يا بيروت . .

قد غادرت الماضي

عرايا خـارج العصر . .

وكان الله في مدريد قد مات (1)

وكان الموت يمشي سيدا

فوق عظام الجنرال . . !

---

(1) كان موت الديكتاتور فرانكو يملأ أعمدة الصحف ونشرات الأخبار .

وداع الرجل الميت

قمـر الأمـة . .

يا خارطة الدنيـا . .

وطاووس النضـال

شاحبا أدخل في شمسـك . .

في أعمدة البهو الرخـامي ضئيلا . . ونحيلا . .

رافعا قبعتي السوداء . .

ما أعظم بهو الموت . .

ما أجمل مولاي حزينا

وسجينا

وذليلا

يتمنى وهو لا يملك . .

يبكي مثل من يبكون

يرتاح كما يهوى ، ولايهوى

يرى تاج النهايات

على رأس البدايات

فينهار طويلا

ثم ينهار طويلا

ـ 2 ـ

وقع الطائر في أُحْبُولَةِ الصياد

صقرا ملكيا ، عاصف المخلب

عصفورا غريبا ، أخضر المنقار

ذئبا جائعا يبحث في الأدغال

عن أنثاه

يا مولاي

كم تشبه في موتك أنثى الذئب . !

كم تشبه سنجابا شتائيا جميلا

لم تعد تشبه أبطال الأساطير المخيفين

المثيرين القشعريرة في الأجيال

لاتشبه بعض الآلهـة !

* * *

واحتراما للذي كان هوالأمـة . .

أرخي هـذه القبعة السـوداء في صمت

وأسترجـع بعض الضحكـات التائهـة .

* * *

وهذه إجـابة السؤال .

يجلس بعد موته الجنرال

خجلان ، إلى مائدة الكـردي . .

والكـردي خجلان

إلى مائدة الجنرال . .

— 3 —

قط لم تسمع به ؟!

أعرف يا مولاي ، ان بطلا منتصرا

مثلك . .

لايسمع إلا صوت بطشه

ولايبصر إلا وجه عرشه

ووجه نعشه

ولا يعبد كائنا سواه !

الجريمة والسكوت

ومصطفى كان يبيع الفستق الأخضر

كان قلبه فستقة خضراء

كان فستقة !

تأرجحت عشرين صيفا

ثم لما جاء صيف المطر الأسود

والمعاطف الحمراء

والحرائق المعلقة

تراكضت في طرقات الريح مثل ورقه

وابتسمت محترقة !

* * *

من قتل الكردي ؟

من أغرق في اللعنة بيروت ومدريد ؟

ومن أحرق قلب الفستقة !

تسأل في موتك يا مولاي . .

لا أجرؤ أن أشهد . .

لا أجرؤ أن أومئ نحو وجهك العظيم . .

رب المحرقة !!!

بيروت 1975



عَصْفورة الـدّم

كان ثمة كفٌّ رمـادية ،

تتدلّى من السقف . .

حاملةً قمراً ميتا . .

وطيورٌ من النار ، تنقر لؤلؤة الليل . .

كان قلبي آجرَّةٌ من دم

ثقبوها . . فسالت نجوما مضرجة . .

عبر أقنية الليـل . .

أيتها اللانهائية البعـد . .

يا من تَظَلِّينَ مثل زهور السـموات

غارقة في دمـوعي طالعةً في يدي

أو هذي طقوسـك أنت ؟

يموت المحب على درج الشـوق

دون الصعود إليك

ويصبح أغنية أو صلاة

يتوهج في الموت . .

أو يتوحـد في العشق . .

أو تستطيل سراديب غربته . .

فهو في سجن غربته . . بطل أواله . .

* * *

وتداخلت في شجر الكلمات الحزينـــة بيني وبينك . .

كانت خيام المجوس . ونار معابدهم

تتعانق في طرقات المدينة . .

والعصر ربٌّ عجـوز . .

يُرَقِّـعُ أشــلاء تاريخه

ويبيـارقُ عاصفةٍ . .

والعيـون التي أطفأتها المهـانة

تحلـم بالنصر ، فـوق رمـاد مضاجعها . .

وتغازل من شـرفات المخـادع

جندرمةَ الطائفية ،

وهي تحاول أن تسجن الريح في صدف البحر . .

أن تحجب الأرض بالقبعات . .

وأن تذبـح الماء في النهر . .

والنهر أذرعَةُ الفقراء ، وميراث أجيالهم . .

وبنادقهـم . . وأناشيد أطفالهم

وهو طين الحقول ، التي احتضنت

خصبها زمنا

وحديد المصانع

وهو هذا الدم العربي . .

الذي يتدفق عطشان

من فجـوات الجراح

إلى فجـوات الشـوارع

* * *

كم هي موحشة هذه الردهة الزمنية . .

تصهل في جانبيها خيول البحار التي احترقت

وتدور وُجُوه الكوابيس

كم هي موحشة هذه الأرض دونك . .

أحملها صخرة فوق ظهري

وَأعدو بها في مدارك كالطفل . .

ها أنت ذي تومئين . . وتنتظرين . .

وها أنذا أتعمَّدُ باسمك في كل ثانية

يقتلوني ، وأولد . .

حيث تضيء ذراع مقاتلة

فوق قنبلة

أو تطأطئ هامة طاغية

تحت خنجر ثائر . .

يسجنوني . .

وأنبت شمسا على حائط السجن . .

أويشنقوني . .

وأجعـل من حبل مشنقتي ، سلما نحو وجهـك . .

وجهك هذا النبي الفـدائي

هذا الإلّـه العظيم المهـاجر .

وتغصين بالصمت خائفة . .

فالطوائف تطبع أختامها في جلود القرابين . .

يا كل شعبي

الجريمة والعـــدل وجهـان . .

والشمس ترحـــل في البحر . .

لكننا سـوف نبني توابيتهم

ذات يـوم

وسنرسم فوق شواهدها . .

شارة الثورة العربية . .

والنصر . .

* * *

وتظلين خائفـة . .

فالضحايا تسير صفوفا إلى ساحة الذبح . .

يعلم كل الغـزاة الذين هـم الآن . .

مضطجعون هنـا

تحت أقدامنا

ويعلـم أحفادهم

أن آخر ساعاتهم ــ

حين تكمـل عصفورة الدم

في هذه الأرض دورتها

حول دائرة الجـرح . .

بيروت 1975



خَــارج المـُـــوت

كالفجر تولد ، مغسـول الضياء نقي

لا تدخل الموت ، في أرض ، ولا أفقِ

ولا تغيَّبُ عن جيل ، وإن بعُدَتْ

بك السنينُ ، وطالتْ رحلة الغسق

وبعض قدرك فينا . .

أن مجدك في الأرواح ينبت ، والسـاحات والطرق

وأن صوتك كان العصـر . .

ممتزجا بالعظم . . والفرح الطيني . .

والأرق

يا أمة ــ لم تكن فردا . . ولا جسدا ــ

إذا ارتوى الفرد ، من طغيانه ، وسقي

ولدت في وطنين : الدمـع والعـرق

وعشتَ في وطنين : القلـب والحدق

* * *

كالفجر . . كالمطر الآتي من الزمن . .

كالسيف في النار ، لم تضعف ، ولم تلن

عصفت باليأس . . كان اليأس عاصفة

فوق المدينة ، ذات المرقد الخشن

لابد من نجمةٍ ، في الليل ، تائهة

كم نجمة ، في جبين الليل ، لم تكن

أكل ميراث هذا الجيل ، ضاع سدى .

يا يأس . . أنت غريب الوجه ، عن وطني .

ويافجيعة . . روح الأرض واحدة

فليس ثمة من روحين ، في بدن

وإن يخن خائن . . أو ينتكس علم . .

فالشعب لم ينس قتلاه . . ولم يخن

ألأمـة أعطت الدنيا حضارتها . .

يوما . . وكانت كتاب المجد حيث فني

تظل مطرقة موتا . . وفي يدها

إرادة إن تمس الموت يحتقن .

في القهر رائحة القضبان . .

قلت لهم . .

والعمر يقطر في قارورة الأبد

ثم أرتحلـت . .

ومن لم يمض مرتحلا . .

لم يأت قط .

ومن لم يأت ، لم يعد .

أكان يغمض عينيه عليك . .

فلم تبصره مختبئا في الحقد والحسد

لقد رأيناه

إلا من خيانته عريان .

يرفل في أثوابه الجدد

رأته مصر . .

فغطت وجهها بيد

كي لا تراه . .

ومست رأسها بيد

لا تمض أكثر

لن تبقى الغداة . .

وإن ظننت أنك باق في ضمير غد

وأعـول الرمل في سيناء . .

وارتعدت عينا فدائية مصرية الجسد

وكان يمشي . .

وكان الدرب منزلقا

والعار يهطل أمطارا . . ولم يكد .

* * *

ــ من أنت ؟

قالـت له القدس . .

التي سمعت خطاه بين خطى الأعـداء

تقترب

هذا التراب رجال

أحرقوا دمهــم نصرا سَجيناً عليه . .

قبلما ذهبوا

من أنت ؟ في مشية الأبطال . .

يا طللاً يمشي ، وفي دمه التاريخ ينتحب

من أنت ؟

تنهار في كفك أعمدةٌ من الجلال

ويبكي المجد والحسب

من أنت ؟ يا أنت . .

لا رب . . ولا قدر

ولا دمشق . . ولا مصر . . ولا العرب

مرغ جبينك أني شئت .

تنحسر المأساة يوما . .

ويكسو الساحة الغضب

* * *

لا . . .

لا . . . 1980

مـَـلكٌ أوكتابَـة

بيننا خائن يارفيق

أنا أو أنت . .

فلنقترع قبل بدء الطريق

* * *

ملك أو كتـابة !

* * *

تصدأُ الصور المعدنية مثقوبةً في مضاجعها

كل وجه قبيلته فوقه

كل وشم على معصمين احتفال

ذروة النقص في ذروة الاكتمال

نبيٌّ ولا ملكٌ

أنت عصف المحاريث وحـدك

أَيَّـةُ فاجعةٍ أن تكون المغني وحـدك

في ذروة النقص أو ذروة الاكتمال

ويد الله تسكب إبريقها

عطشا في التضاريس

والأرضُ طاولةٌ تخذت شكلها :

ملك أو كتابة

* * *

ليس ثمة ما يجعل الموت في الفجر

أجمل منه إذا انتصف الليل

موتك كان الولادة . .

هل طيبتك الزيوت العتيقة

حتى تفاوحتَ في حمرة القيظ !

لا ليس ثمة رائحةٌ في زهور القرنفل

ثمة رائحةٌ في نقوش الخلاخيل

والزبد الأصفر المتخثر تحت العباءات

والقبعات المليئة بالدم والنفط . .

في أي برج ولدت ؟

إذن برجك الرمل

كوكب عصر التهافت في الأفق العربي السعيد

* * *

سألوني . .

وها أنا أشهد

أن الزمان عجيب

وأعجبه أن هذي الجموع

تغني وترقص في قفص من حديد !

* * *

وأشهد

أن التراب الذي عجنته الهزيمة

كان جميلا . .

وأضحى قبيحا

وأقبح من لونه في العيون

تألُّقُ تاج المهانة

فوق جباه الرجال العبيد

* * *

الجوارح تنهش لحم السموات جائعة

وغزالة طاغور في العشب تحلم

مَرَّتْ بها منذ حين سحابه

لم تقل أنت يامن رأى

ملك أو كتابة

* * *

ثم يحدث ما يشبه الحلم

تهبط بضع شموس من الأفق

ذاتُ عيون رصاصية ، وأصابعَ باردة

تتقوَّسُ فوق بنادقها . .

وكآلهة في الأساطير . .

تمشي الشموسُ مجنحةً

وببطء ثقيل ترش الرصاصات

عرش الذي قتل الأ رض

إنه يتبوأ كرسيَّه الآن

ريشٌ الفراعنة الأولين

على منكبيه . . وفي روحه

جسدٌ بالغ الموت

يحسب أن لن يموت

وببطء ثقيل ترش الرصاصات

عرش الذي قتل الأرض

ثم تغوص ، وتنكسر الخطوات عليه

وتخلع مصر براقعها . .

كان في دمها ، وهي حاضَتْ به . .

نسلته غريبا

وأنسلها لعنة

أحضرته من الظلمات . . وغاب

كان حجم جريمته

حجم يوم الحساب !

* * *

الذي قتل الأرض

نفَّضَ نعليه فوق رقاب النبيين

واختار رقدته في الكنيس اليهودي

لكنه لم يكن وحده

كان أنت الخيانة أَوْ أنا

والظل أجنحة الشجر المتكسر

معذرةً يارفيق

إن عصرا تحوم عليه الإدانة

فلنقترع قبل بدء الطريق !

* * *

حائط الغيم يصعد معترضا حائط الغيم

والقوس يبرق في الهضبات البعيدة

والرعد ملءُ الأكف التي أمسكت بالمداميك

ها قد مشى الرمل

فوق الحقول التي زرعتها يداك

هو الرمل يمشى هناك !

أم العمر تطفو عليه شخوص الكوابيس

« عيد السيادة . .

ذكرى اغتصاب فلسطين »

« عيد فلسطين

ذكرى المعاهدة البربرية »

« عيد الصعود

« عيد الهبوط

ويوم الصيام

ويوم الضحية

ومات الرسول

وقام المسيح

وأعشبت العتباتُ السنيهْ

وقال المطارنة الطيبون

وأفتى ابن مالك والشافعية

وهذا انقلاب لأجل القضية

وآخر أيضا ، لنفس القضية

وكأس نبيذ لمجد يهوذا

وكأسان في صحة المجدليه

وعام على إثره ألف عام

وخارطة الدولة العربية

ممرغة في بقايا حطام

قوائمه النظم العنترية

فهاتيك رايتها جاهلية

وتلك عباءتها هاشمية

وأخرى تميل إلى الماركسية

ورابعة تعشق الناصرية

وتنطق باللغـة الفستقية

وتسقط كل رقاع البيادق

منهكة في حروب الكلام

وطار الحمام

وحط الحمام

وفي البال فسقية من رخام

ومَحظيَّةٌ مثل بدر التمام

وعين جلالته لا تنام

ويا قدس منى عليك السلام

* * *

الذي قتل الأرض

مازال يمسخ رؤيا الجموع

ويهطل في مطر الكلمات

يُزَهِّر أفيونُـــهُ في الطقوس

وفي كتب الموت والصلوات

وأرغفة الخبز والملصقات

وطقطوقة الباشوات القدامى

ومعزوفة الباشوات الطغاة

* * *

ويا ليل . . يا عين

يا عين . . ياليل

والليل ينفخ أرغوله في شوارع مكة

ومكة جوهرة الأنبياء

تعلق أوثانها فوق سور البكاء

وتحصد في جوعها النفط والفقراء !

* * *

في أشد الفصول خريفيَّةً

تتفتق أغشيةُ اليرقات الشفيفة

عَنْ أمم طفلة

سوف تحمل مائدة الله فوق سواعدها

وتثبِّتُ أعمدةَ الكوْن . .

* * *

من يحبس الموج كي لا يقلب كفيه

في لؤلؤ البحر !!

من يجذب النار

ملو يَّـةً من ضفائرها !

حجر القبر يرقب ساعتكم

اختبئوا فيه . .

أو خبئوا جِيَفَ العصر

إنِّي أدوس نياشينكم

إن هذي النياشين

فوق صدور مجوفة

قط لم تعرف النصر

إني أدين صحائفكم

طائر الكلمات الجريحة

يقطر في غسق الفجر

أسألكم ياملوك الطوائف

هل أمةٌ في حوانيتكم أم بقايا شعوب

إن أزمنة عانقتها الحضارة

تطمسها ريح أيامكم

إن من يحصد الضوء في الشمس

يحصد ظلمتها في الغروب

خشيتي من رماد هزائمكم

خشيتي من جحيم انتصاراتكم

فالغرابيل مسقوفة أبدا بالثقوب

وليكن قدر الحق

إن انهيار ممالككم وحده

هو شرط انتصار النبي الفدائي

* * *

شجر الأرز يأكل أطفاله فجأة

كانت الشمس تنصب في شجر الأرز

بستانها

وتروح تسيج منعطفات القرى بمغازلها

أنت من أدخل الشمس في ظله

وتسرب عريان في الظل

آخر مالم تقل

أن سربا من الطير يتعب

لكن أعناقه لا تسد السماء على الطير

واخترتَ برقَ الألوهية

اخترت أن لا تكون الغيوم التي اتكأتْ في خيال الحديقة

أو سلة الياسمين

التي خبأتها صغار العصافير

في أرخبيل الغصون

ـــ 1 ـــ مونولوج صوفي

كُنْ شريكي أهبْك جواهر قلبي

أو كن قتيلي

إن في شفتيك دمي أو رحيلي

— 2 —

وكان اسمه عابد العابدين

وكان اسمك القادر المقتدر

— 3 —

أنت تعرف أنى كثير

وأنك وحدك

وأعرف أنك قبلي

وأني بعدك

— 4 —

الرماد رمادي ، يانهر دجلة

والرأس رأسي ، ياسور بغداد

صرت وحدي في الناس مليون نخله

كلما قطعوني أزداد

ـ 5 ـ

كان كأس دمي طافحا

فاستحيت . . وأفرغته

مثل من سبقوني

أتراني جاوزت قدري . .

لأنى قد تَعَمَّدْتُ

فى الهوى بجنوني !

ـ 6 ـ

منذ أن مسنى . . ومضى

تاركا كنزه في فمي

خلصَتْ شهوتي

فهي موجٌ يفىء إليه

وأجنحةٌ من صبابه

* * *

لست أعرفنى

لم تقل لى من أنت ؟

من أنا يا سيدي ؟

من هو الآخر المتحجر في شفتي ؟

ملك أو كتابه

شفقٌ أو عقيق !

إن من خاننا لم يزل بيننا يارفيق

والادانة ماثلةٌ في التقاطع

فلنقترع قبل بدء الطريق !

بيروت ـ تونس 1982

الفهرست



رقم الإيداع : ٧٣٨٣ / ٩٢

I.S.B.N 977 - 09 - 0108 - 3

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤

بيروت: ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣



